او اختلطتم صحبة وزينة فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرًا للدنيا الخبيس نافرًا
عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما به
مغتر بظاهره حريص عليه مكب معجب محب فهذا مثل حال الدنيا مع الفريقين اهل
البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في الطبع
والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما وجهل وجفاء كان للآخر فلو علم الراغب وابصر
ما علمه الزاهد لكان زاهدًا مثله ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب كان راغبًا
مثله فعلمت بذلك ان هذا التمييز لمكان البصاير دون الطبايع وهذا اصل مغني وكلام
بين سديد يعترف به من عقل وانصف والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله

فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قوامًا لنا فكيف نزهد فيها فاعلم
ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتى يعبد الله تعالى
وسبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها
بغير سبب كالملائكة ثم ان كان بشيء ان شاء فبشيء حاصل عندك او بطلبك وكسبك وان شاء
بشيء يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا الاحتياج حاله الى طلب وارادة فان لم تقو على ذلك
وطلبت واردت فانو بذلك القوة على عبادة الله سبحانه وتعالى دون الشهوة واللذة فانك
اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك وطلبًا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في
زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة راشدًا وبالله التوفيق العايق الثاني الخلق
ثم عليكم وفقكم الله وايانا للطاعة بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك

عن عبادة الله عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيدًا منهم فاردت ان اكلمه فقال لي ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي
وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار بيده الى
السماء وقام وتركني فالخلق اذًا يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك
كما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة
والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان
فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا امتنعوا فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله سبحانه وتعالى
ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي واعلم
ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدًا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت
اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا فان وجدت
زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك في انه صلى الله عليه وسلم كان
اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والآفات هالكة ولا عذر
لك والوصف الذي ذكرناه منها ما هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه
قال بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رأيتم الناس مرجت عهودهم
وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة
وذكر في خبر آخر انه قال عليه الصلوة والسلام ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين
لا يأمن الرجل جليسه وذكر ابن مسعود رضي الله عنه في خبر آخر للحرث بن عميرة انه قال ان يذهب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1